نيابة عن القضاة الشافعية ثم اجتهد في تحصيل العلم وسافر الى الشام ومصر وبيت المقدس
واخذ عن علماء المذهب وائمة الحديث وفضل في فنون من العلم وتفقه بالشيخ شهاب الدين
يوسف المرداوي وبرع في المذهب وافتى وناظر وقرا البخاري والشفا مرارا وكتب
بخطه الكثير من نسخ البخاري كتابه جيده مضبوطه قائمه الاعراب. وكان بارعا في العربيه
خطيبا بليغا وصنف في الخطب وولي قضا الرمله استقلالا سنة ٨٣٨ ولم يعلم ان حنبليا
قبله وليها ثم ولي قضا القدس الشريف في اواخر دولة الملك الاشرف برسباي في شهر رمضان
لمعي بعد شغوره نحو تسع عشرة سنه عن شيخه قاضي القضاة عز الدين البغدادي المتقدم
ذكره فهو ثاني حنبلي حكم بالقدس ثم لما توفي الاشرف عزل عن قضا القدس وولي قضا
الرمله ثم اعيد الى قضا القدس في دولة الملك الظاهر جقمق في احد الجمادين سنة ٨٥٣ و
اقام به عشرين سنه متواليه واضيف اليه قضا الرمله ثم اضيف اليه قضا بلد الخليل
عليه السلام في المحرم سنة ٨٦١ وهو اول حنبلي ولي في بلد الخليل وباشر الحكم نيابة بدمشق
المحروسه وولي قضا صفد مضافا الى قضا الرمله في دولة الملك الاشرف اينال وامتنع
من مباشرتها واختار الاقامه ببيت المقدس وكان خيرا متواضعا حسن الشكل متبعا
للسنه كثير التعظيم للائمه الاربعه ليس عنده تعصب وكان سخيا مع قلة ماله مكرما
لمن يرد عليه لا يحب الفخر ولا الخيلا ويدخل الى المسجد الاقصى الشريف في اوقات الصلوات
بمفرده مع ما كان عليه من الهيبه والوقار وله معرفه تامه بالمصطلح في الاحكام وكتابة
المستندات وباشر القضا بالاعمال المذكوره وافتى نحو اربعين سنه وكانت احكامه
مرضيه واموره مسدده ومات وهو باق على ابهته ووقاره لم يمتحن ولم يهن
ومن عظيم محاسنه التي شكر له في الدنيا ويرجى له بها الخير في الاخره ان بالقدس الشريف
كنيسه للنصارى مجاوره لكنيسه قمامه بلصق الصومعه من جهة القبله وبناوها محكم
ولها قبه عاليه والنصارى يجتمعون فيها ويقرون كتابهم ويرفعون اصواتهم حتى
في بعض الاوقات يسمع ضجيجهم من قبة الصخرة الشريفه وينزعج المسلمون من ذلك
فقدر الله تعالى وقوع زلزله يوم الاحد خامس المحرم سنة ٨٦٣ فهدمت قبة الكنيسه
المذكوره فتوجه النصارى لنائب السلطنه وللقاضي الحنفي بالقدس الشريف ودفعوا
لهما مالا فاذن القاضي الحنفي في اعادتها بالتها القديمه فحصل للقاضي المترجم غاية

الانزعاج

الانزعاج واشتد غضبه لذلك فحضر اليه النصارى واحضروا له مالا على ان
لا يعارضهم فزجرهم من جرا البرطيل ثم بادر بالكتابه الى الملك الاشرف اينال وعرفه
قصة انهى فيها ما كان يقع من النصارى بالكنيسه المذكوره وان الله تعالى قد غار لدينه
وهدمها بالزلزله وسال في مرسوم شريف بان ينظر في ذلك على ما يقتضيه مذهب
امامه المبجل الامام احمد بن حنبل فبرز الامر بذلك فحضر في صدده الى القدس الشريف
وقد شرع النصارى في البنا حتى كادت العماره تنتهي على ما كانت عليه اولا فاجتمع
الخاص والعام ونائب السلطنه والقاضي الحنفي الاذن في البنا وبقية القضاه وصدرت
الدعوى من الشيخ تاج الدين ابي الوفا بن ابي الوفا عند القاضي المترجم وساله الحكم بما
يقتضيه الشرع فحكم بعدم اعادة الكنيسه المذكوره وبهدم البنا الجديد وبعض
القديم فلم يزل العوام يهدمونه حتى نهاهم القاضي واستمرت مهدومه الى يومنا
وقد نقلت هذه الحادثه عن الشيخ ابي الوفا من لفظه ومنها ان النصارى ببيت
لحم قد احدثوا بناء في الكنيسه وورد مرسوم شريف بالنظر في ذلك فتوجه نائب
السلطنه وشيخ الصلاحيه والقضاه والمشايخ والصوفيه الى بيت لحم وسئل الحكم بما
يقتضيه الشرع الشريف فحكم بهدم ما استجد من البنا ولم يخف في الله لومة لائم و
كان ذلك يوم الثلاثا تاسع عشر صفر سنة ٨٥٦ ثم توجه جماعه من الفقرا والنائب
وهدم البنا في يوم الاحد رابع ربيع الاول وكان يوما كثير المطر وتوجه القاضي المذكور
الى كنيسه قمامه وهدم الدرابزين الخشب المتجدد بها ونقل اخشابه الى المسجد الاقصى
الشريف بالتكبير والتهليل وكان يوما مشهودا ومنها ان نصرانيا من طائفه
الحبشه وقع في حق النبي صلى الله عليه وسلم فرفع اليه امره واعترف عنده بما صدر
منه فتحدث له بعض الناس وقال ان هذه الطائفه للدوله بها اعتنا ونخشى عاقبه
هذا من جهة السلطان فلم يلتفت لذلك وحكم بسفك دمه فضربت عنقه ثم اخذه
العوام واحرقوه في صحن كنيسه قمامه ومنها انه كان يبادر الى اطفال من
يموت من اهل الذمه ويحكم باسلامهم على قاعدة المذهب فعارضه قاضي شافعي
بالقدس وحكم لجماعه من اولاد اهل الذمه ببقائهم على دينهم فتعارض الحكمان فرفع
الامر للظاهر جقمق واجتمع العلما بالمدرسه الصلاحيه للنظر في ذلك واتفق
علما ذلك العصر على صحة الحكم بالاسلام وانه هو المعمول به وان ما حكم به الشافعي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)